المقاربة التطورية: évolutionnisme

معنى التطور : **évolution**

في أكثر معاني الكلمة العمومية يعني التطور النشر او البسط أو الفتح وهي تستقي أصلها من الكلمة اللاتينية evolver بمعنى بسيط، وقد ظهرت في الانجليزية في السياقات المتعددة وجد طريقه في الخطاب الاجتماعي والفلسفي والعلمي الطبيعي غير أن تواجد المصطلح أكثر في علوم الحياة.

وغالبا ما يكون المقصود من استعماله الحالي أن يعني علاقه مباشرة.

الية في الغالب بين العمليات التطورية كما يفهمها البيولوجيون والعمليات التي يمكن تطبيقها على التغير الاجتماعي.

داروين ومقاربة التطور :

إن مفهوم التطور أثار الكثير من الجدل ومن الآراء المتضاربة التي قامت بناء على الفكرة التي كونها بعض الناس بأن التطور يغالط نظرية الخلق كما جاءت في الكتاب المقدس (اليهودي، المسيحي، الإسلامي) وبقيت هذه الآراء المتضاربة منذ تشارلز داروين (1809 –1882) حتى وقتنا الحاضر وبخاصه بين التقليديين الذين يؤمنون بالتفسير الحرفي للكتاب المقدس.

حيث كانت النظرة التقليدية الى الأنواع البيولوجية تعتبرها ثابتة وكل نوع مثل (حصان، بقرة، عنزة) له أشكال ووظائف محددة وثابتة ونجد هذه النظرة عند أرسطو وعند الذين يؤمنون أن الأنواع مخلوقات الله مباشرة، فكل نوع له طبيعة لا تتغير لذا فان الإنسان احد الأنواع وكان رأي الداروينية مختلفا فالحياة العضوية تخضع للتطور أي تخلق الأنواع المختلفة وتتشكل عبر تفاعل مع البيئة وهكذا فان جميع أنواع تخلق عبر سلسلة من التطورات لذا فهناك علاقة أسرية بين الأنواع ومن هذا المنظور يبدو أن لا وجود لنوع وحتى النوع البشري له وضعية فريدة حتى ولو كانت هناك فروق مهمة بين الأنواع.

وهذا التطور حسب داروين يحدث وفق آلية "الانتقاء الطبيعي" هذه الآلية التي تقوم على ثلاثة مبادئ:

1-الشبيه يلد الشبيه ولكن بتنوعات صغرى.

2-العضويات تنتج ذرية أكبر مما يحتمل أن يبقى حتى يصل مرحلة البلوغ والتكاثر فيتكاثر بدوره.

3-ولذلك فإن الأصلح منها أو الأكثر تكيفا وتلائما مع بيئته هو المرجح ان يبقى ويتكاثر.

التطورية الجديدة:

في بداية القرن العشرين عرفت نظريات التطور تجديدا عميقا إذ أدت اكتشافات قوانين الوراثة على يد هوغو دي فريز 1900 ثم ظهور علم الوراثة في الاربعينات الى إعادة صياغة النظرية التركيبية في التطور والمعرفة بالداروينية الجديدة والنظرية هذه عبارة عن تزاوج علم الوراثة مع نظرية التطور وهي تستند الى مبدأ قاعدي يرى أن تحول الأجناس يتم بتحول وراثي وهكذا كانت حافزا لسلسلة من الأبحاث في علم الوراثة عند الشعوب، وفي دراستي علمي المتحجرات وعلم البيئة النسقي (علم تصنيف الأشكال الحية) وبعد سنوات (1960- 1970) تشعبت النظرية التركيبية الى عدة نماذج ففي البيولوجية ظهرت النظرية الحيادية لليابانيين وفي علم متحجرات تم التشكيك في نظرية التطور المتدرج وتضارب للأراء حول دور الانتقاء الطبيعي والمركزي في التطور والتطورات الصغرى والكبرى.

التطورية الاجتماعية:

مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن 20 حاول عديد من الكتاب تطبيق مبادئ الداروينية الانتقاء الطبيعي والصراع من أجل الحياة على وظيفة المجتمعات الإنسانية: الفكرة الأساسية هو أن التنافس بين الأفراد أو المجموعات الإنسانية في المجتمعات يشبه الصراع بين الأنواع الحيوانية والنباتية من أجل البقاء على قيد الحياة.

التطورية الاجتماعية الفردية والثقافية:

يعتبر هربرت سبنسر (1820-1903) الشخصية المسيطرة في الفكر التطوري الاوروبي بدء من سنة 1870 حيث قدم هذا الفيلسوف الإنجليزي مفهوما آخر للتطور الذي يشكل عصب المقاربات الانثروبولوجية

آنذاك ويتجلى في كون المجتمعات تتطور من مجتمعات قائمة على الحرب الى مجتمعات قائمة على الصناعة وان الظواهر الاجتماعية تتطور من البساطة إلى التعقيد، ومن التجانس الى التنافر الأمر الذي يسبب التطور أو التقدم، وفيما يخص أسباب هذا التطور بالنسبة للأجناس الحية ظل سبنسر على رأي لامارك فهو يعتقد الوراثة الصفات المكتسبة بخصوص المجتمعات الإنسانية يقوم عليه التطور الأولي على التنافس بين الأفراد وعلى بقاء الأقدر.

ويضيف تايلور في كتابه المجتمع البدائي 1871 ان التطور التاريخي للبشر تحدده المعطيات الاقتصادية والممارسات الثقافية والمجتمعية والمتمثل في الثقافة والحضارة.

وفي كتاب المجتمع القديم سنة 1877 لخص هنري مورغان مراحل تطور الإنسانية في ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة التوحش، المرحلة البربرية والمرحلة المدنية.

الصيغ التطورية الثقافية والاجتماعية الجديدة والصراع بين الأعراق:

شهدت القارة الأوروبية نوع آخر من التطورية الاجتماعية العرقية والاستعمارية لا تضع هذه العقيدة الصراع بين الأفراد في الدرجة الأولى بل الأزمات بين الأعراق والشعوب أهم رواد هذا التيار الفرنسي جوزيف آرثر دي غوبينو (1816 –1882) وجورج فاشر دلبوج، (1854 –1936) ستيوارت تشامبرلين (1855 – 1927) وهو إنجليزي من أصل ألماني تقوم هذه النظرية العرقية على القول بتفوق العرق الآري على الاعراق الاخرى وقد قدمت للفاشية أسسها العقدية و في الأربعينيات سرعان ما أخذت اسئلة او نماذج اخرى مكان التطورية مثل الوظائفية و البنيوية و في السبعينات مع تطور علم الأعراق الإنسانية و علم الاجتماع و علم البيئة الثقافية ثم بعد الثمانينات مع تطور علم النفس التطوري ظهرت محاولات للتجذير الإنساني والاجتماعي في العالم الحي مما أثار جدلا كبيرا.